

ساعة في الجنة

تأليف:
شيماء ربيع تمام



” ليلة العيد ”

نظر في ساعة يده , إنها الثالثة بعد منتصف الليل

آن آوانُ العودة للبيت

كانت حفلةُ السنةِ الماضية بفجورها و جنونها حاضرةً
بما بقي له من وعي رغمَ ذهابِ الكحولِ بِجُلِّ عقله
أسند رأسه إلى الحائط , ألصق وجهه بحجارتها الباردة
..... أين أنت أيها الحُضن الدافئ ..؟؟

هل لك في هذا العالمِ من وجود ..؟؟؟؟

بعد مضي كل تلك السنوات مازال يحلم بأبيه و أمه ,
لقد بقي بداخله ذلك الطفل المشرّد البائس لم يكبر
يوماً

كل تلك المناصب التي تقلدها و الأموال التي جمعها و
الجبروت الطاغي الذي حازه لم يُنسه.... قهره و ذله.....
و أيضاً غضبه

كان ينتقم من كل شيء جميلٍ حوله , كان يكره الحياةَ
بمن فيها و الأرض بمن عليها , كان آلة دمارٍ بكل ما
تحمله الكلمة من معنى
رغم كل تلك التي إقترفتها يداه

إلا أنه مازال هناك في أعماق أعماق فؤاده شيءٌ
ما لا يعرف ماهيته يبقيه حياً

أمر حراسه بالإنصراف باكراً ككل ليلة مترنحاً ,
جر قدميه عبر طريقٍ مظلمٍ مهجور , يختاره بعنايةٍ
متحدياً الموت كان يستغرب كيف لم يأتبه حتى
هذه اللحظة ..؟

يطفئ حواسه كلها , لم يكن يرغب أن يسمع تنبيهاً
لخطوات أبٍ قرر أن ينتقم لموت أولاده , أو لثائرٍ يريد
أن يريح العباد من جبروته و استبداده

لكنه كباقي الأيام ها هو أمام باب بيته الأبيض يقف

لكن لمَ ما زلت حياً؟؟
يا لسخرية الأقدار مني حتى الموت يكرهني و
يجافيني

أبيض يا له من لونٍ قبيح إبتسامة مجنونة
زرعت على وجهه , ... يجب أن تصبغه بأحمرٍ غامقٍ
لون الدم سيكون مناسب قال عقله

ألقى جسده المثلث بالذنوب على كرسيه , أمسك زجاجة
كحوله المفضل , بدأ يشرب و يشرب لكنه ما زال
موجوداً , مالذي يفعله ها هنا , لمَ لم تغادر أه
..... أيها العقل كم أنت مُتعب أرجوك اذهب

” النداء ”

سَمِعَ صوتاً لطيفاً..... كلماتٍ تقول له استيقظ
استيقظ

لمست يديها الصغيرتين وجنتيه فسرت قشعريرةً
في أجزائه أحيت حواسه , ياللمس تلك اليدِ الناعمة ما
الطفه

استيقظ و أمسك بيدي

تسربَ الشعاعُ الأولُ إلى مقلتيه المتعبتين , كان ضوءاً
لطيفاً نشر السكينة في فؤاده , فجعله يرى بقلبه لا بعينه

ذاب حناناً , بمجرد أن وقع نظره عليها , من أنت أيتها
الصغيرة ...؟؟؟ هل أنت خيالٌ أم حقيقة ..؟؟؟

إقتربت منه أكثر و احتضنته

و بمجرد أن تماس القلبين شفق شهقةً , كمن عادت
الحياةُ إليه , يا إلهي من هذه ...؟ أهى ملاكٌ أم حلمٌ

أين أنا ..؟؟

من أنتِ .. أيتها الأميرة ...؟؟

..

قالت له بصوت طفوليٍ عذب أنا إحدى بناتك في الجنة ألم تُحرم من الذرية في الدنيا ...؟؟

لم يعيِّ كلماتها , لقد تحجرَ قلبه منذُ زمنٍ بعيد , لم يعد ينبض , ليس فيه حياة أوهكذا كان يعتقد

لكن ما هذه المشاعر التي تتأبّه ..؟؟
لقد بعث انسانيّتي و بشريّتي للشيطان , كم قتلْتُ من أطفال ..؟؟

كم أزهدت من أرواح ..؟؟.... أرجوكم سوف أصاب بالجنون

هل أنا مريضٌ مصاب بالهذيان ..؟؟

أخبريني ولا تعذّبيني

هيا معي سوف ندخل جنتك جنة من؟؟ ... سأل عقله

جنتك أنت أجابته.....!!!!؟؟؟

أمسكت يدها الغضة يدهُ الخشنة سألت دموعه
دون أمرٍ منه

لم يشعر بالأبوة من قبل , لقد انتفضت روحه حبوراً ,
أحس أن خلايا عصبية لم تكن تعمل من قبل , دبت فيها
الروح من جديد.

من أنت أيها الملاك؟؟؟..... من أين أتيت ..؟؟

..

.

“ الخطوة الأولى ”

علت الأهازيجُ و الألحان..... أصواتٌ لم يَسمع بعذوبتها
من قبل في أي مكان ترانيمٌ تحيي الأموات

نودي بإسمه أدخل؟؟ ؟

إنها جنّك , تنتظرك

كل شيء كان سريعاً , لم يعيي ما يحدث حوله
من هؤلاء القوم ..؟؟

يا لجمالهم , يا لحُسنهم تبادر إلى ذهنه أنهم ليسوا
من سكان الأرض

كانوا يبتسمون له , ييشون بوجهه , يرحبون به
لكن من هم ...؟؟

إنهم أجدادك و أبائك , سعداءٌ بقدومك عليهم ... ألم
تعرفهم ...؟؟

لكني لم أرى والديّ أبداً , لم أعرفهم , أنا الشريد ابن
الميت , لم أجد من يحبني يوماً

ما هذه المشاعر التي تسبح في عروقي ..؟
لم هذا الدفء الذي ينبض في قلبي ..؟

وضع يديه على أذنيه , غطى وجهه بساعديه , كطفل
ساذج بريء.

أراد أن يبطئ سيل الصور و الأصوات
لم تعد حواسه تكفي لنقلها لوعيه

لم يعد قلبه يتحمل دفق المشاعر و الأحاسيس

لم يعد عقله قادراً على تحليل و توصيف ما هو فيه

أمسكت بيدها الغضة وجهه , همست بإذنه لا تحزن
..... ليس للحزن مكان هنا

هيا معي إنهم بانتظارك

من هم ...؟؟

هبت نسائمٌ جميلة , تحملُ عطوراً ليس لها مثيلٌ على
الأرض قالها مستيقناً

ما هذا الذي أمامنا؟؟

” الحديقة ”

وقفلَ مذهولاً من ذلك الشيء لم يجد له وصفاً
, إنه حجابٌ ينسدل من السماء و يصل إلى الأرض , كلما
حركته النسائمُ المنعشة اللطيفة , تساقطت من جنباته
مئاتُ بل ألوف الورود و الرياحين , بأشكالٍ و ألوانٍ و
جمالٍ , لم يُرى مثلهم من قبل

هل أنت مستعدّ يا والدي؟ شدته تلك الكلمة , لم
يسمّعها من قبل , ذُهل بها عن كل ذلك الجمال و الحسن
الذي حوله , جعلته يستسلم بين يديها كأبٍ حنون

لم تفارق يدها يده كانت تلك اليد هي الوحيدة
التي تُشعره بالأمان

إنشق ذلك الحِجاب الذي غطى عنان الأفق و ارتفع

توقفت كل خليةٍ من خلايا جسده , لم يعد يستطيع أن
يغمض عيناه

بساطٌ من العُشب الأخضر , يمتد إلى أقصى نقطة يصلها
بصره , مغطى بورودٍ و أزهارٍ و نباتات , ليس لها على
الأرض من مثيل

ألوانها , أشكالها , رائحتها اجتمعت كلّها كأجمل لوحة
يمكن أن تراها العين

رفع رأسه فإذا بفوانيس ذهبية تسبح ما بين السماء و
الأرض تُضيء المكان بنور لطيفٍ, تُشعر الناظر لها
بالدفئ و السلام

..

أحس عند قدميه ما يشبه الأرنب بوبرٍ من الحرير ,
ينسدل على وجهه , اقتربت منه الكثيرُ من الكائناتِ
الجميلة , كانت تنظر له بعيونها الواسعة و تبتسم له ,
كمن يرحب بضيفٍ عزيزٍ طال انتظاره

..

كل ما حوله من مخلوقات كان يتفجر بالحياة , بالنشاط
, بالحيوية , بالحسن , بالإبداع لو أن لي
متراً واحدة من هذه الحديقة على الأرض , لاكتفيت من
الدنيا و مافيها هكذا قال عقله

..

سَمِعَ صوت أطفال من بعيد , ما أجملها من ضحكاتٍ
بريئة , كانت قهقهاتهم تزداد وضوحاً و تجلياً له ... لم
يحجبها عنه إلا تل صغير

صعده مسرعاً , كمن تعلم , أنه كلما تقدم ازداد الخير و
العطاء..

وقف مذهولاً

لقد كانت أمامه حديقة , ليست أزهارها كأي أزهار و لا
ووردها كأي ورود , كانت بتلاتها أطفال كأنهم لؤلؤ
مكنون , جمالهم و حُسنهم لا يوصف بكلماتٍ أرضية
, أعمارهم ما بين الستين و الأربعة , كانوا بانتظاره ,
تجمعوا حوله , يلمسونه يعانقونه و يقبلونه

..
أحس أن روحه كادت تفيض من جسده , بعد كل تلك
السنوات و الزيجات و الحرمان من الأبوة , ها هو يلعب
مع أطفاله و هم بالمئات , لقد تحول رغم هيئته و
قسمات وجهه القاسية , إلى طفلٍ صغير يلعب مع أقاربه

لقد خرج ذلك اليتيم من سجنه أخيراً

ها هو يلعب و يمرح و بين عائلته يسعد
لم يخرجها مما هو فيه من سعادة و حبور إلا رفرفات
طيور جميلة حطت بالقرب منه

..

لم تكن طيوراً عادية , هي أقرب ما تكون لمخلوقات
أسطورية , ريشها طرز بالياقوت و المرجان , عيونها
تسلب العقول و تُوقِف الزمان , ليس لحدود جمالها
وصف و لا بيان , أقتربت منه على استحياء ثم جلست
بين يديه و نشرت أجنحتها فغطت عنان السماء.

كان منظراً مهيباً بكل ما للكلمة من معنى , أقتربت منه
أكثر ومع كل خطوة يزداد نورهن قوة
حتى حجب رؤيته , و ما هي إلا لحظات حتى عاد له
بصره , فوقع على ما كان بمثابة الصاعقة التي أصابت
فؤاده

انقلبت الطيور إلى نساء جميلات لا يمكن أن تصفهن
لغات العالم كلها ولو اجتمعت كلمائهن و أحرفها

قلن له بصوتٍ واحدٍ رقيق إنها بانتظارك
و قد أحرق كَبدها شوق لقاءك

إنها سيدةُ جنتك هلم معنا فهي بانتظارك

حُمِل بهودجٍ مخمليٍ مسدج بالإستبرق , مزركشٍ بفيروزٍ
و عقيقٍ يلمع

ارتفع به في عنان السماء كَشهابٍ مسرع , كلما علا و
أرتفع , اجتمعت حوله المزيدُ و المزيدُ من الحور ذوات
الأجنحة

كن كمن يستقبلن سلطانٍ أو ملكٍ متوج
كلُ ما حوله كان يتفجرُ بالجمال , رفع بصرهُ عالياً ,
ففتح فاه مندهشاً , كانت أنهار من السماء تنبع

تصب مياهها الصافية الرقراقة على شكل شلالاتٍ
فتنتشر ذرات مياهها في السماء كلؤلؤٍ يُنثر

هناك في الأعلى فوق غيمةٍ عظيمةٍ قد أنتصب ,
قصرٌ مشيدٌ أبيض

به ألف باب و باب , أجمع حوله مئات بل آلاف الخدم و
الحشم , قدموا له التحية و صدحت حناجرهم باسمه ,
معلنةً وصول مالك المكان و صاحب الأنفة و الإحترام
...

توقف به الهودج أمام بوابة بيضاء مهيبة , لمعت بعقله
صورةٌ قصره الأرضي , نفس اللون لكنه هناك هو
مشوّمٌ و هنا هو مبارك

ألقيت على كتفيه عباءةً من حريرٍ تلمع , و على عرش
قصره حُمل و وضع

حل السكون و طال السكوت حتى النفس لم يُسمع

فجأةً بدأت ألحانٌ تُعزف , و ترانيم هادئة لطيفة تعلوا و
تصدق.... معلنةً أن حدثاً عظيماً سوف يحل قريباً

شُق المكان بنورٍ عظيمٍ وخرجت

فطأطأت الأعناقُ جميعاً وأنحنت

لقدومِ حُسنٍ لو رآه أهل الأرض لذهب بعقلوهم و ألبابهم
أصبح قلبه ينبض كمرجل بخاريٍ قارب أن ينفجر
أصابه الخرس و الصمم

و ذهل عمن حوله إلا البصر
لم يرد أن يغيبَ محياها عن مقليته ولو لرمشة عين
خُلع قلبه عندما قالت له أشتقنا لك أيها
الحبيب

أمسكت بيديه وغابا خلف الحُجب و السُتر ليقضيا
ساعة النعيم المقيم

..

على فرش من السندس استلقيا
و صفحة السماء قد نشرت أمام ناظرهما

أيتها الحبيبة ماذا الذي في الأفق يلمع ..؟؟
إنه مقام عالٍ للمصلحين قد خُصص

و ما ذلك العقد من النجوم يتلأأ..؟؟
إنه مقام الأنس على الصابرين الحامدين قد أُغلق

مازال يسأل و يسأل عن منازل أهل الجنة

حتى

سكتت و دمةٌ بَراقةٌ على خدها المورد بالجمال و
الحسن سقطت

أيها الحبيب أيها الرفيق قلبي يحترق بنُطقِ
أحرفِها جملةٌ لا بد أن تسمعَها

آن الآوان يا توأم الروح

آوان ماذا
يا درة الدرر, يا بهجة القلوب و منبع الجمال

عليك أن تعود كي تتخذ القرار

لم يعيي كلماتها , كان في حال من النشوة و السلام و
الهيام , لا يمكن أن يوصف بكلام

“ العودة ”

أبتي الطريق من هنا , أمسكت يده وانطلقت به

أسمع يا والدي ساعتك في الجنة شارفت على الإنتهاء
أترى هذه الطريق المستقيمة هي طريقك إليها ,
إن سرت بها وصلت إلينا
بينك و بينها باب التوبة ,
إن طرقته مخلصاً فُتح لك

..... أصلح أبتاه ما خربته يداك , أحيي من الأنفس
ميتها , أصلح و أنشر العدل في أرضها و ربوعها

فما زدت من خيرٍ فيها عاد إليك أضعافاً هنا لا
تتأخر علينا نحن بانتظارك

بدا كل ما حوله من قصورٍ و أنهارٍ و حدائق غناء يبدوا
..... كسرابٍ يبتعد , أخذ يبكي و ينوح و يرتعد

ركض خلفه محاولاً أن يصرخ , لم يخرج له
صوتٌ ولا حسٌ , كأن صدره كان قد ذبح

فجأةً وجد نفسه يقف على صعيدٍ ليس فيه شجرٌ ولا
عمران , إلا شمس حارقة و ضوءٌ ساطع
بدأت قدماه تغوصان في الأرض

حاول الاستغاثة , حاول الممانعة , لكن الأرض كانت
قد ابتلعتة

فتح عينيه الدامعين

نظر حوله , أطبق على فؤاده حزن و هم شديدين , رغم
كل جمال و حسن تصميم قصره , و بذخ مفروشاتة و
تحفه و نجفه , إلا أنه لا يساوي ذرة أمام ما كان فيه

فجأةً وقف على قدميه , أحمرت عيناه و أمتلئت
أوداجه بالدماء , بدأ بتحطيم كل ما حوله كأن
الغضب و الكره سريعاً ما عاد إليه كان
ينفثُ كتنينٍ خرافيّ متوحش , هرب الخدم و الحشم
..... و كل من كان حوله

هم يعرفونه ليس للروح عنده من قيمة ولا مقام

تملكه غضبٌ شديدٌ لم هذا البلاء الذي أنا فيه , لم
أخرجوني من السعادة التي لم أشعر بها من قبل

لمَ يجب أن أعود إلى شقائي و همومي

أريد هناك أريد ماذا.. في السماء

كان يصرخُ و يبكي و ينتفض كمن تلبسته الشيطاطين
فجأةً

سَمِعَ همساً سَمِعَ صوتاً

إنها هي ... مهلاً

ركض كمجنون هائج , يقفز من مكانٍ إلى مكان , و من
باب إلى باب , يبحث عن جنته عن مقامه عن
ابنته

أينَ أنتِ ..؟؟؟ ...؟؟ أين ملاكي أرجوكي لا
تدعيني أعاني أريدُ أن أكونَ مَعَكَ

لمسَ الطيفُ وجنتيه , تجمَدَ بمكانه تيبست أطرافه
, لم تطرف عيناه إنها هي ابنتي حبيتي ,
قرة عيني

أبي نحن بانتظارك

قالت تلك الكلمتين و طبعت قبلةً على جبينه
فخرَ مخشياً عليه

مر على تلك الحادثة وقت ليس بالقصير و هو طريح
الفراش , زاره كل طبيب و ساحر و عراف , لم تعرف
حاشيته له مرض , كان كمن تحول الى نبتة بشرية تأكل
و تشرب لكن ليس لها تأثير في زمان أو مكان

..

كان بانتظار القرار لم يعرف الاطباء
شيئاً عن تلك المعارك التي تدور في داخله

ما بين شر و فساد اعتادته نفسه و بين سكينة و سلام
عاشتها روحه
لم يكن الصراع سهلاً ليس الأمر بسيطاً كما يعتقد
القارئ..

كان في داخله..

جبالٌ من الخير والشر تتناطح
وديانٌ من الشقاء و الطمأنينة تتعارك

عرف أنها ليست معركة المصيرية فقط , بل مصير كل
من حوله ممن ربط القدر سعادتهم و حياتهم و أمنهم و
أمالهم بقراراته و أوامره

...

صبيحة ذلك اليوم الماطر وقف في حديقة قصره , رفع
يديه عالياً كأقصى ما يمكن أن تصله في عنان السماء ,
كان يريد أن يعلم ويرى أن القرار قد أُتخذو
أنه إن شاء الله إلى جنته عائد

سوف يطول شوقي إليكم أيها الأحبة وليس
بيني و بينكم إلا..... ساعة

.

قال تعالى:

{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }

انظر في ساعتكإنهم بانتظارك

ساعة في الجنة

"لم تكن طيوراً عادية ، هي أقرب ما تكون
لمخلوقات أسطورية ، ريشها طرز
بالياقوت والمرجان ، عيونها تسلب
العقول و تُوقِف الزمان ، ليس لحدود
جمالها وصف و لا بيان ، أقتربت منه على
استحياء ثم جلست بين يديه و نشرت
أجنحتها فغطت عنان السماء.
كان منظراً مهيباً بكل ما للكلمة من
معنى ، أقتربن منه أكثر ومع كل خطوة
يزداد نورهن قوة "